الفصل التاسع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ماذا يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

لماذا تتفاوت درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صحيفة أعمالنا بين مستويات مختلفة من العلو والتدني؟ ماذا يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إنه يعني: التألم للآخرين والتضامن والتعاون معهم، والتعرّف والوعي والقدرة. إن الذي شرّع هذا الحكم إنما شرّعه منذ اليوم الأول لعلمه بأن دينه دين اجتماعي وليس ديناً فردياً، ليس دين الأديرة والصوامع. فالذين قضوا ردحاً طويلاً من تاريخهم في الأديرة والصوامع اتجهوا اليوم نحو تنظيم أنفسهم ونحو التضامن والتعاضد، أما نحن الذين نعتنق ديناً اجتماعياً هو دين الحياة والتعاون والوحدة والتضامن، فقد اتجهنا نحو الانفراد، والتمزّق.

إن من شرّع هذا الأمر يريدنا أن نكون أمة واعية تتنبأ بالمستقبل من خلال الحوادث التي يحفل بها الحاضر، أما نحن، فلا نتنبأ بالمستقبل، بل ولا نعي أوضاعنا الراهنة. قال الإمام الصادق عليه السلام قبل حوالى ثلاثة عشر قرناً: «العالِمُ بزمانه لاتهجم عليه اللوابس»[1] فمن يعي ظروف عصره الراهن، ويتفهم التيارات التي تسير على سطح الزمن أو في أعماقه، لا يخطأ في حساباته وعمله، أما الغافلون عن تطورات عصرهم وغير الواعين للاوضاع القائمة في ظاهر الحركة الزمنية أو باطنها، فهم الغارقون في الأخطاء دائماً، بمعنى أنهم يعملون خلاف واجبهم ومسؤوليتهم، فهم يحطمون أنفسهم بدل تحطيم كيان عدوهم، وهم يسوّدون صدورهم وظهورهم بدل تسويد صدور أعدائهم، فلابد

(1) ابن شعبة، **تحف العقول**، ص356.

أن يبقى هؤلاء الناس في التيه لسنوات طويلة[2].

ضرورة العمل الجماعي

. . . والموضوع الآخر هو أننا لو اعتبرنا أن تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون عملياً، لابد أن نجعل في اعتبارنا أيضاً أن العمل لو كان بصورة فردية فهو لاينفع شيئاً، ولا سيّما في عالم اليوم، وهذه هي مشكلة من مشكلات الحياة الاجتماعية حيث نجد أن الذين يهتمون بالعمل لايتجهون نحو العمل الجماعي، بل تتصف حركاتهم بالفردية، بينما العمل الفردي لايستطيع أن ينتج شيئاً، كما أن التفكير الفردي، والقرار الفردي لاينتجان شيئاً نافعاً، بل المطلوب هو التعاون، والتبادل الفكري، والمساهمة الفعّالة.

وفي كتاب «تفسير الميزان» نقرأ في تفسير الآية الكريمة: ﴿يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا. . .﴾ بحثاً يبين ان التوجيهات الإسلامية تؤكد على ضرورة أن يكون التفكير تفكيراً جماعياً وليس فردياً؟

منطق الأمر بالمعروف

والموضوع المهم الآخر في هذا المجال هو أننا لانفسح مجالاً للمنطق في تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بينما نجد أن لكل عمل منطقه الخاص به والذي يعتبر مفتاحاً لذلك العمل.

وقد أشرت سابقاً إلى أن الشيء الذي عرفناه جيّداً واعتبرناه أكثر أثراً مما ينبغي هو [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] باللسان وليس العمل، وإذا ماحدث توجه إلى العمل كان عملاً فردياً وليس عملاً جمعياً.

وأقول الآن إن الشيء الذي أُغفل أكثر من غيره هو الاعتماد على المنطق في هذا العمل. والمقصود أن علينا أن نفكر في اجراءات عملية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلينا أن نبحث عن المنهج العملي الذي

---

(2) مطهري، حماسه حسينى [الملاحم الحسينية]، ج1، ص160 و161.

يشجع الناس على الالتزام بالمعروف الفلاني، أو المنهج الذي يردع المجتمع عن منكر معَيّن[3].

تقليص الأمر والنهي في قضايا الفقه

لو أردنا البحث حول أهمية هذا المبدأ وعظمته من وجهة نظر القرآن والسنة الشريفة وما ورد من نصوص أخرى في هذا المجال، لاكتشفنا مدى اهتمام الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا الأمر يحتاج بالطبع إلى بحث تاريخي لكي نتفهم من خلاله ما حدث عبر التاريخ الإسلامي حتى تضاءلت أهمية هذا الموضوع ذي الأهمية القصوى في العالم الإسلامي، وتصاغر شأنه يوماً بعد آخر، حتى أصبح أمراً محدوداً جدّاً. وللإنصاف نقول إن أهل السنة قد بحثوا في هذا الموضوع علمياً أي من حيث الطرح في الكتب أكثر منا نحن الشيعة، فلو عملنا مقارنة بين الكتب الفقهية الشيعية والكتب الفقهية للمذاهب الأخرى، بدءاً من «باب الصلاة» وحتى «باب الديات» فإننا نجد الفقه الشيعي، في كل أبواب الفقه، أكثر دقة، وتفصيلاً، وشرحاً، وأقوى استدلالاً، وإنني أستطيع أن أُثبت هذا الموضوع، ولكن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بين سائر الابواب الفقهية قد أصبح صغيراً وموجزاً جدّاً وللأسف. فقد أصبح في كتب أهل السنة صغيراً وموجزاً فيما بعد أيضاً.

ويعتبر المعتزلة الذين هم أحد فرق المتكلمين من أهل السنة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الدين وليس من فروعه. أما الشيعة فانهم يعتبرون أن أصول الدين خمسة،[4] وأن فروع الدين عشرة[5] أو ثمانية، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من فروع الدين، ولكن المعتزلة

(3) المصدر السابق، ص68.

(4) اصول الدين الخمسة هي: التوحيد، العدل، النبوة، الامامة، المعاد. (المترجم).

(5) فروع الدين العشرة هي: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الخمس، الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، التولي لأولياء الله، التبرئ من أعداء الله. (المترجم).

يعتبرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الدين الخمسة عندهم. إلا أنهم تجنّبوا هذا البحث في كتبهم شيئاً فشيئاً حتى جعلوه موضوعاً صغيراً، ويرجع المؤرخون الاجتماعيون سبب ذلك إلى أن هذا الموضوع كان يمس موضوع السياسة وممارسات الخلفاء مما جعلهم يضعون العقبات في وجه هذا البحث في تلك العصور، لذلك إضطر المعتزلة إلى تجنب بحثه في كتبهم، أو الاشارة اليه بايجاز، رغم أنه يشكل أصلاً من أصول الدين عندهم.

ولابد أن نعترف بأن هذا الموضوع قد تضاءل وتصاغر في أوساطنا نحن الشيعة أيضاً، بحيث لم يعد الفقهاء منذ عدة قرون يكتبون شيئاً حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتب الأحكام الفقهية (الرسائل العملية)[6]. وبحسب علمي فإن آخر كتاب من الرسائل العملية الذي بحثت هذا الموضوع هو كتاب «الجامع العباسي» للشيخ البهائي (رحمه الله) والذي يعود تاريخه إلى ما قبل حوالى ثلاثمئة وخمسين عاماً. أما بعد ذلك التاريخ فإن هذا الموضوع حذف بشكل كامل من الرسائل العملية، بينما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما كالصلاة والصوم لايجوز دفنهما... فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسا من الموضوعات التي ينتهي مفعولها عبر الزمن، بل هما واجبان دائماً، وينبغي الاهتمام بهما في رأس قائمة الأولويات، ويجب طرحهما دائماً حتى لايغفلهما المجتمع[7].

حدود المعروف والمنكر

عندما يلاحظ الإنسان من جهة، مجموعة التعاليم والارشادات الدينية [في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]، ويلاحظ من جهة ثانية أن المسلمين قد عملوا بهذه التعاليم واستفادوا منها في فترات سابقة، ثم يرى أوضاعنا الراهنة، فإنه يأسف لها بشدة.

---

(6) الرسالة العملية، مصطلح يُطلق عند الشيعة على الكتاب الفقهي الذي يكتبه الفقيه لعامة الناس، ويضمّنه أهم الاحكام الشرعية (في مجالي العبادات والمعاملات) التي يحتاج اليها المؤمنون في حياتهم اليومية. (المترجم).

(7) مطهري، حماسه حسيني، [الملحمة الحسينية]، ج2، ص49-51.

وإنني لا أزعم بأن ما كان موجوداً في الماضي باسم دائرة أو ديوان الحِسبة كان دون عيب ونقص وأنه تكفل بتحقيق أهداف الإسلام كاملة، ولكنني عندما أوازن بين الماضي والحاضر، أجد أننا متخلفون جدّاً.

فاليوم، علاوة على أنه لاتوجد أية مؤسسة أو سلطة من هذا القبيل تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ما يبعث على الأسف هو أن هذه الافكار مُحيت تماماً عن عقول المسلمين، وأن ما كان يُعتبر في ذلك اليوم من واجبات دائرة الحسبة، وكان يتم إصلاح الأمور الاجتماعية باسم الحِسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لاتُعتبر اليوم جزءً من الأمور الدينية، وإذا ما اتجه شخص ما للعمل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه لايرى تلك الإصلاحات جزءً من واجباته ومسؤولياته، أي أن مصطلحي (المعروف) و(المنكر) قد فقدا معنيهما الواسعين والكبيرين، وأصبحا يُطلقان فقط على مجموعة من الأمور العبادية التي هي الأخرى لايُعمل بها وللأسف.

ولأن فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصبحت محدودة وضيقة في نظرة الناس، ولأنهم لم يعودوا يهتمون من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باصلاح شؤون الحياة الاجتماعية، فكانت النتيجة هي أنه لو أرادت البلدية مثلاً أن تقوم بخطوة إصلاحية فيما يرتبط بتنظيم شؤون المواد الغذائية، أو نظافة المدينة، أو مكافحة الغلاء، أو أرادت وضع قوانين مفيدة في مجال المرور والنقل، فإن الناس لايشعرون أن المسألة ترتبط بأمر ديني، ذلك لأنهم لايشعرون بأن مثل هذه الأمور تُعتبر أيضاً من الوظائف الدينية، بينما ـ حسب قول صاحب الجواهر ـ يجب تقوية المعروف واقتلاع جذور المنكر بأية وسيلة ممكنة، إن سبب تقصير الناس وعدم تعاونهم في هذه المجالات هو أنهم أخرجوا مثل هذه الشؤون من دائرة المعروف والمنكر[8].

(8) مطهري، ده گفتار [المقالات العشرة]، ص59 و60.

ممارسة المنكرات تحت شعار النهي عن المنكر

أشار السيد آيتي إلى أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصبح واجباً منسياً، وهو كلام صحيح، ولكن السؤال هو لماذا أصبح هذا الواجب منسياً؟ الذي أراه انه علينا في هذا المجال أيضاً، كما المجالات الأخرى وقبل البحث عن العوامل الخارجية في المسألة، أن نبحث عن الأسباب الداخلية حسب الكلمة الشهيرة المروية عن الإمام علي عليه السلام حيث يقول: دواؤك فيك وداؤك منك. فنحن السبب الاول في تنفير الناس من هذا الواجب وبالتالي نسيانه والغفلة عنه.

فالإسلام يضع شروطاً محددة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجال التطبيق، وأول تلك الشروط: الإخلاص وحسن النية، فنحن من حقنا أن ننهى عن المنكرات العلنية والمتجاهر بها فقط، ولكن لايحق لنا التجسس على الآخرين والتدخل في شؤون حياتهم الخاصة، إلّا أننا نجد في الماضي القريب أن مجموعة من الأشرار والمشاغبين الذين كانوا يهدفون إثارة الشغب في المجتمع وتصفية الحسابات الشخصية مع الآخرين كانوا يتذرعون بهذه الفريضة المقدسة، وكان بعضهم، ولكي يحقق غاياته، قد ينتمي لمدرسة دينية ويبني لنفسه ظواهر الشخصية الدينية، ثم يبدأ بالانتقام من الناس، وما أكثر الجرائم التي وقعت تحت هذا الشعار، وما أكثر المنكرات التي ارتكبت باسم النهي عن المنكر، وما أكثر الحكايات التي تُروى في هذا المجال.

يُحكى أنه في فترة رئاسة المرحوم نجفي الأصفهاني، جاءه في أحد الأيام جماعة ممن يطلقون على أنفسهم إسم طلبة العلوم الدينية (ذلك لأن الطلبة الحقيقيين لايرتكبون مثل هذه الأعمال) لاهثين وهم يحملون دَفّاً وطبلاً مكسورين، وعندما سألهم: ماالخبر؟ ومن أين تأتون؟ وما هذه التي بأيديكم؟ أجابوا: كنا في المدرسة عندما أخبرنا البعض بوجود حفلة عرس في أحد البيوت وأنَّ المحتفلين يستخدمون الطبل والدف، فصعدنا إلى سطح المدرسة وعبرناه إلى سطوح البيوت المجاورة ومن سطح إلى آخر حتى وصلنا إلى سطح البيت المعني، فدخلناه، وضربنا الناس وكسَّرنا الدف والطبل، وتقدم

أحدهم وقال: إنني شخصياً صفعت العروس بيدي. فقال المرحوم نجفي متهكماً: هذه هي حقيقة النهي عن المنكر! لقد ارتكبتم عدداً من المنكرات باسم النهي عن المنكر: فأولاً؛ كانت الحفلة حفلة عرس [ويجوز فيها مالايجوز في غيرها]، ثانياً؛ ليس من حقكم التجسس على الناس، ثالثاً؛ بأي حق عبرتم سطوح بيوت الناس إلى البيت المعني؟ ورابعاً؛ من الذي سمح لكم بضرب الناس والاعتداء عليهم؟

وفي الماضي كثيراً ما كانت تتكرر أمثال هذه الحكايات، وهي قد انعدمت حالياً ولله الحمد، ولكن علينا أن نعرف إن كثيراً من ممارسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحالية هي الأخرى لاتنطبق مع قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل قد تكون هي من المنكرات التي يجب التصدي لها[9].

وسائل الأمر والنهي

. . . والموضوع الآخر الذي أردتُ الاشارة إليه في هامش حديثي هو أننا عادة نتوسل بوسيلتين في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأولى؛ القول، والثانية؛ استخدام القوة، أي أننا نقول أولاً فإذا لم يؤثر لجأنا إلى القوة. . . إننا نعرف هاتين الوسيلتين جيّداً.

ولاشك أنَّ القول والموعظة هما من الوسائل السائدة في هذا المجال كما أنَّ استخدام القوة هو الآخر من الوسائل التي قد نلجأ إليها في بعض الحالات ولكن هل وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منحصرة في هاتين فقط ولا توجد وسيلة أُخرى، وطريق آخر؟

نقرأ في الأحاديث الشريفة أن للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث مراحل وثلاث درجات: المرحلة الاولى بالقلب، المرحلة الثانية باللسان، المرحلة الثالثة باليد والعمل. وإننا عادة نفهم من مرحلة القلب معنى الثورة والعصبية والغضب بدل أن نفهم الإخلاص وحسن النية والرغبة في إصلاح

(9) المصدر السابق، ص61-63.

شؤون المسلمين، ونفهم من مرحلة اللسان المواعظ والنصائح المتحكمة والقسرية بدل أن نفهم منها الأحاديث التوضيحية والمنطقية حسب مايرشدنا إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: 125]، ولا نفهم من مرحلة اليد والعمل إلا استخدام القوة، بدل أن نفهم منها التبليغ العملي، وحسن العمل واتخاذ الاجراءات العملية.

وبشكل عام فإننا نتوقع المعجزة من الكلام والكتابة والخطابة، ونتصور إن الأمور تنصلح بمجرد الكلام، بينما نقرأ في الحديث: «كونوا دعاةً للناس بغير ألسنتكم» كما نقرأ في الحديث الآخر الذي يستند إليه الفقهاء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «ما جعل الله بسط اللسان وكف اليد، وإنما جعلهما يبسطان معاً ويكفّان معاً» أي إن لم يكن للعمل أي دور، فالمستحسن أن يبقى اللسان مكفوفاً أيضاً. وهنا ننقل لكم استنباط أحد أكبر الفقهاء من هذا الحديث والأحاديث الأخرى المشابهة:

يقول الشيخ ابو أعفر الطوسي المعروف بشيخ الطائفة في كتابه (النهاية) وهو من كتبنا الفقهية المعتبرة:

«والأمر بالمعروف يكون باليد واللسان، أما باليد فهو أن يعمل بالمعروف ويجتنب المنكر على وجهٍ يتأسّى به الناس، وأما باللسان فهو أن يدعو الناس إلى المعروف، ويَعِدُهم على فعله المدح والثواب ويزجرهم ويحذِّرهم في الإخلال به من العقاب». ثم يضيف: «وقد يكون الأمر بالمعروف باليد بأن يحمل الناس على ذلك بالتأديب والردع وقتل النفوس والإضرار بها من الجراحات، إلّا أن هذا الضرب لايجب فعله الا بإذن سلطان الوقت المنصوب للرئاسة».

أما صاحب جواهر الكلام [وهو من أعاظم فقهاء الطائفة] فيقول بعد نقل بعض عبارات الشيخ الطوسي: «نعم، من أعظم أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعلاها وأتقنها وأشدّها تأثيراً، خصوصاً بالنسبة إلى رؤساء الدين، هو أن يلبس رداء المعروف واجبه ومندوبه، وينزع رداء المنكر محرّمه ومكروهه، ويستكمل نفسه بالاخلاق الكريمة، وينزّهها عن الاخلاق الذميمة».

ثم يضيف: «فإن ذلك منه سبب تام لفعل الناس المعروف، ونزعهم المنكر خصوصاً إذا أكمل ذلك بالمواعظ الحسنة المرغِّبة والمُرهِّبة، فإن لكل داء دواء، وطب النفوس والعقول أشد من طب الأبدان» ثم يختم كلامه بالقول: «نسأل الله التوفيق لهذه المراتب».

ويقول الإمام علي عليه السلام[10]:

«من نصَّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[11].

(10) **نهج البلاغة**، قصار الكلمات، 73 تحقيق: صبحي الصالح.
(11) مطهري، ده گفتار، [المقالات العشرة]، ص63-67.